

الفصل الحادي عشر

**مرنكبو المعاصي**



## 42

إن العبارة التي تزعم أن التعصب الوطني هو الملاذ الأخير للمنحلين هزل ينطوي على شيء من الجِدِّ، كثيراً ما تكون الوطنية المحمومة، أو الحماسة الدينية أو الثورية، مهرباً من تعذيب الضمير<sup>(\*)</sup>. ومن الغريب أن الجاني والمجني عليه، المجرم والضحية، قد يجدون في الحركة الجماهيرية الخلاص من حياة ملوثة. يبدو أن الشعور بالظلم والشعور بالندم يدفعان الناس في الاتجاه نفسه.

يظهر أحياناً أن الحركة الجماهيرية مصممة خصيصاً؛ لتلائم احتياجات مرتكبي المعاصي، من حيث تطهير نفسه وإتاحة الفرصة له لممارسة نزعاته ومواهبه. يستهدف أسلوب الدعوة إلى الحركة أن يثير في نفوس الأتباع شعوراً يماثل شعور المجرم التائب<sup>(1)</sup>. إن الاستسلام التام، وهو المصدر الذي يمد الحركة بوحدتها وحيويتها، هو تضحية، تعبير عن الندم، ومن

---

(\*) في المملكة العربية السعودية تبين أن عددًا لا يستهان به من المتضمنين إلى الخلايا الإرهابية كانوا في السابق يتعاطون المخدرات (المترجم).

(1) «سوف يكون هناك سرور في السماء بمجرم واحد يفوق السرور بتسعة وتسعين شخصاً تقياً لا يحتاجون إلى تربة» انظر Luke 15:7. و«المكان الذي يقف فيه التائب لا يستحق الأتقياء أن يقفوا فيه» كما جاء في التلمود. انظر:

Joseph Klausner. Jesus Of Naze Reth. P. 380.

الواضح أنه لا يوجد ما يستوجب التضحية أو الندم ما لم يكن هناك شعور عميق بالذنب. يقول أحد رجال الدين المسيحيين: «يا لصعوبة المهمة التي تقابل الواعظ وهو يبشر بالخلاص أناسًا لا يشعرون بالذنب»<sup>(1)</sup> تمي الحركة أول ما تمي عند أتباعها شعورًا عميقًا بالذنب، أي أنها لا تكتفي بتصوير نفس الفرد على أنها عقيمة وبأئسة، بل تضيف أنها ملوثة. إن الاعتراف والندم هما سبيل الفرد إلى التخلص من ذاته، وبهذا يُفتح أمامه باب الخلاص: الذوبان في الوحدة المقدسة التي تتيحها الحركة<sup>(\*)</sup>. تتعاطف كل الحركات الجماهيرية مع المجرم وتحاول بكل الوسائل اجتذابه. ومن هنا نجد القديس برنارد، رجل الدين الذي كان وراء الحرب الصليبية الثانية، يقول لأتباعه: «الدليل الأعظم على أن الغفران لا يأتي إلا من الله يتّضح لنا عندما نجد الله يدعو المجرمين والمفتصبين والزناة والمزورين ومرتكبي كل أنواع الجرائم إلى طاعته كما لو

(1) A Letter In Life, Dec. 23, 1946 Written By R. S. Aldrich.

(\*) يقول عبد الله ثابت: «كان شيئاً معتاداً أن نسمع أن اثنين من إخواننا كشف أمرهما، وهما يتبادلان شهوة، فنعود بالله مما فعلاه، ونكرهما ونهجرهما، ثم يجتهد الكثيرون في أن يخفوا ما يستطيعون إخفاءه، مما يدور بينهم، وفي لحظات التجلي والصراحة يعترف بعضهم إلى بعض، فيكون ويعاهدون على التوبة، وألا يقعوا في شيء من هذا بعد مجلسهم ذاك» الإرهابي 20، مرجع سابق، ص 105.

كانوا أبرياء أتقياء»<sup>(1)</sup> وتهتم روسيا الثورية، بدورها، اهتماماً خاصاً بالمجرم العادي برغم قسوتها على المنحرف عقدياً.

ولعله من الصحيح أن المجرم الذي ينخرط في قضية مقدّسة يصبح أكثر استعداداً للتضحية بحياته والقيام بأعمال عنيفة من غير المجرم الذي يقدر حرية الأنفس والأموال. بإمكاننا أن نعدّ الجريمة، إلى حد ما، بديلاً عن الحركة الجماهيرية. عندما يضعف تأثير الرأي العام وقوة القانون، ولا يكون الفقر مدقماً، فإن الضغوط على العاجزين عن التأقلم والمحبطين كثيراً ما تنتهي بهم في أحضان الجريمة. ومن ناحية أخرى لوحظ أنه في حالة صعود المدّ الثوري، سواء كان وطنياً أو دينياً أو قومياً، فإن معدل الجرائم العادية ينخفض.



---

(1) Quoted By Brooks Adams, the law of civilization And Decay (New York: Alfred A. knopf, inc. 1943), p. 144.